الموسوعة القبطية الشاملة



(١١)

سيرة القديس

الأنبا يوساب

قصة لقاء القديس مقار أسقف نيقيوس لبعض السواح فى البرية المصرية

دياكون
د/ ميخائيل مكسى اسكندر

مكتبة المحبة

مكتبـــة المحبـــة

من مخطوطات سير الأباء السواح المجهولين:

سيرة السائح

القديس الأنبا يوساب

(الطائر فوق السحاب)

تحقيق وتعليق

دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

سيرة السائح القديس أنبا يوساب

سيرته الأولى: [1]

أحب الشاب يوساب[2] الرب من كل القلب، كشاب مؤمن حقيقي، وابتدأت هذه المحبة تزداد في قلبه مع الأيام، حتي قرر أن يُكرِّس كل وقته وفكره وحبه للرب يسوع، ولاينشغل عنه. وسافر الي البّرية.

وخضع هذا الشاب لقوانين البّرية. ووضعه الآباء تحت الاختبار فترة من الزمن، لاختبار مدي اشتياقه للعباده ومدي جهاده في طريق الخلاص. وبدأ حياته الجديدة مستعيناً بوسائط النعمة المختلفة من صوم وسهر روحي وصلاة وترنيم وتسبيح، وقراءات في الكتاب المقدس وتفاسيره، وأقوال الآباء، وسيرهم المقدسة، والاعتراف علي يد مرشد روحي مُختبر، والتناول من السر

(١) مخطوطة رقم ٢٨٩ ميامر، بمكتبة دير السريان العامر (بتصرُّف)

(٢) الكلمة «يوساب» هي «يوسف» العبّرية (يزيد) وفي اللاتينية (Josephus) وفي الايطالية Joseppi، وفي اليونانية «يوسابيوس» (Eusebius) وفي القبطية «يوساب»

الأقدس، طهارة للقلب والحواس، والثبات في المسيح، حسب وعده الصالح.

ونما القديس يوساب في النعمة والقامة الروحية واختير «راهباً» في أحد أديرة وادي النطرون. وأقام مع أخوته الرهبان، وظل يمارس كل أنواع العبادة والنسك الشديد، وتعرَّض لحروب الشياطين، ولكن الرب سنده وقوَّاه في جهاده من أجل خلاص نفسه، (وما أعظمه من هدف مقدس لكل نفس).

التوّحد فى البرية الجوانية:

ومع تقَّدم الأيام في وسط جماعة الرهبان، إزداد قلب الراهب يوساب شوقاً الي مزيد من الوحدة والاختلاء بالرب. فاستأذن أب اعترافه لكي يدخل إلي البَّرية الداخلية، ويحفر لنفسه مقراً في جوف الصخر.

وقد شرح له أب اعترافه صعوبة السكني منفرداً في الجبل، واوضح له ما تعرَّض له كل المتوحدين، من حروب مباشرة من الشياطين، وما يلاقيه المتوحد من ظروف صعبة في البرية، فلم يرجع الانبا يوساب عن هدفه المقدس، مهما ما يلقاه، لأنه سوف

يستعين بمعونة الله، الذي وعد أن يكون مع المؤمنين في كل زمان ومكان، ويرعاهم إلي الأبد، ولا يضرهم الأعداء الخفيين والظاهرين، ولا أذي الحشرات الضارة (الكثيرة في الصحراء الغربية القاحلة)، كما رعا الأنبا أنطونيوس والانبا بولا، وغيرهما من السَّواح والمتُوحَّدين الكثيرين.

فلما وقف أبوه الروحي علي هدفه المقدس، صلي من أجله وباركه، وودعه وطلب منه أن يداوم علي زيارة الدير، للتزود بالسر الأقدس.

وتذكر مخطوطة سيرته، أنه قد أضعف جسده بالصوم والصلاة والسهر والتعب، والصبر علي حر الصيف الشديد وبرد الشتاء القارس، لا سيما وأن ملابسه قد تهرأت وتمزقت، فصنع لنفسه غطاء لجسده العاري من ليف النخيل الخشن (كما فعل القديس أنبا بولا أول السُّواح)، وكان لسانه لا يتوقف عن التسبيح وتمجيد إسم الله القدوس (وهو درس لكل نفس).

بركات من السماء:

ونظراً لأنه قد أرضَّي الرب بحبه وعبادته وخلٌوته معه، فقد

باركه الرب. وكان يسمح الله له بأن يركب علي السحاب، ويتلقي في العلاء طعاماً يأتيه من السماء، في أوقات معينة، حددها الرب له!!

كما نال من الله قوة تمنع عنه حر الصحراء الشديد، وتحفظه العناية الربانية من برد الشتاء أيضاً!! (وما أعظم رعاية الله لرعاياه).

ومع ذلك، فقد ازداد القديس اتضاعا وانسحاقا للنفس، ونمواً في الفضائل الأخري، وكان يردد أنه غير مستحق لهذه البركات الروحية والمادية، الخفية والظاهرة. وكان يشكر الله علي كل عطاياه.

طلبة مقبولة:

وتتحدث المخطوطة عن رغبته في أن يُعرِّفه الله بإنسان آخر ـ في وقت حياته ـ سيكون معه في «ملكوت السماوات»!

وبعد طلبات كثيرة وتضرّع وابتهال الي الله، أتاه صوت من

السماء يقول: «إن ملك إنطاكية ـ في أيامك هذه ـ سيكون نظيرك في ملكوت السماوات»!!

حقاً، ما أعظم حكمة الله في علّاه!! فقد اختار له إنساناً «عالمياً» وليس من رجال الدين، أو من بين الرهبان القديسين أو المكرسين، وفوق ذلك طلب منه الرب أن يري «ملكاً» علي الأرض، يستحق أن ينال الإكليل الأبدي أيضا، وهو بالطبع أمر عجيب، فقد قال القديس يوحنا ذهبي الفم: «عجبي لرئيس يخلُص»!!.

وعلي أية حال، فإن «الإنسان ينظر الي العينين (الخارج) وأما الرب فينظر الي القلب(الداخل) أي الي «نية القلب» في الفعل أم في السلوك أو التَصرُّف.

وقد حذَّرنا الرب يسوع «من الحكم حسب الظاهر» لأن الانسان لا يعرف النية (القصد الداخلي) من العمل أو القول.

رحلة روحية:

وحينئذ ركب الشيخ الوقور سحابة بيضاء، حملته إلي عنان السماء(٣) من جوف الصحراء المصرية، الي مدينة إنطاكية السورية.

وهبطت به السحابة خارج المدينة، وأخذ جريدة النخيل (عصاه) التي كان يتوكأ عليها بيده، وقصد الي باب المدينة.

وعندما اقترب الأنبا يوساب من الباب، وجد الملك يتأهب للخروج من الباب، في تلك الساعة من النهار. وكان يحيطه عدد كبير من العسكر، وحوله الجنود وهم يركبون الخيل ويسيرون من أمامه وخلفه، في موكب مهيب يليق بالتبجيل والتكريم، لهذا الملك العظيم.

(٣) إذا كان الانسان قد استطاع أن يطير في طائرة أو في صاروخ، في قمر صناعي، فلا يعسُر علي الرب أن يحمل قديسه علي سحابة (أو علي جناح ملاك) مثلما فعل مع «أم النور» التي حملتها سحابة نورانية من أورشليم الي آسيا الصغري وأنزلتها في مدينة «برّطس»، حيث أخرجت القديس «متياس» الرسول من السجن، وعادت العذراء الطاهرة علي نفس السحابة الي مدينة أورشليم (راجع كتابنا: «قصة العذراء حالة الحديد»وكذلك توما ايضاً.

فاستند القديس يوساب علي باب المدينة، حتي يتمكن من مشاهدة الملك وجهاً لوجه، فلما اقترب منه الركب، رأي الملك من بعيد قد أقبل نحوه، راكباً فرسه، وقد تحلَّي بالحُلي والجواهر البرَّاقة، وكان شعاعها المختلف الألوان يُلقي بضوئه الشديد في وجه القديس. كما كان تاج الملك يضئ أيضا علي رأسه.

فحينئذ ندم الشيخ المتوحد، وحزن في قلبه لما أبصر هذه العظمة والأبهة التي كانت للملك، وقال في نفسه متسائلاً: «مَنْ يكون هذا الملك العظيم؟ وهل هو الذي سيكون له ميراث ملكوت السموات؟!» وبكي في قلبه على ضياع تعبه هباء، ولكن السماء لابد أن تكشف له الحقيقة الغائبة عن فكره!!

وتزاحم الأهالي في الخروج من باب المدينة، وكان القديس – في وسط الزحام – يفكر في الأمر، ويتساءل «أين هو الشخص الذي يستحق النعيم الأبدي في جو هذا العالم؟!».

من علامات نقاوة القلب:

فلما خف الزحام، رجع الملك الي باب المدينة، والتفت الي الشيخ وقال له بصوت جميل: «يا أنبا يوساب!! لقد اشتهيت

لنفسك تعباً لم تكن في حاجة فعلية إليه!!».

ثم أمر أحد قواده بأن يصحب القديس الي قصره، لينتظره هناك، حتي يعود إليه بعد قليل، فلما سمع الشيخ كلمات الملك اليه، فرح جداً وقال في نفسه: «لولا أن الله ساكن في قلب هذا الانسان (الملك) ما عرفني، ولا عرَّفه قصتي».

فلما وصل القديس الي قصر الملك في إنطاكية، انتظره. فعاد اليه في وقت قصير، فأخذ بيد الشيخ في حنان وحب واتضاع، ودخل به الي قاعة فخمة وضخمة، وبها موائد ممتدة، وعليها أفخر الطعام والشراب، فأكل القُوَّاد والجنود حتي شبعوا من الأطعمة اللذيذة ثم انصرفوا الي أماكنهم.

وتذكر المخطوطة أن الملك اصطحب ضيفه القديس الي قاعة الملكة، التي كانت ترتدي أفخر الثياب وأعظم الجواهر، التي تفوق الوصف، وحولها خادماتها المجملات بالحلي وأبهي الملابس. فمضي الملك وجلس علي عرشه، وانصرفت الملكة مع وصيفاتها، تاركة زوجها مع الأنبا يوساب.

حقيقة سلوك أبناء السماء:

ولما استأذن الملك، جلس الشيخ وحده يتأمل فيما يراه، ومايعمله الله!!

فعاد الملك وقد ارتدي مسوحاً من الشعر الخشن وكذلك عادت الملكة وهي ترتدي المسوح (نوع من الخيش) ثم قام الملك وزوجته، ومعهما القديس يوساب السائح ومضوا جميعاً الي موضع أسفل القصر الملكي، حيث وجدوا راهباً وقوراً جالساً يعمل شغل يده، ويرنم ترانيمه بصوت منخفض.

فلما رآهم الآب الراهب قام واقترب من القديس يوساب السائح وَقَبَّلاَ بعضهما بعضاً بقُبلة المحبة. وصَلّوا مع الملك وزوجته صلوات «الساعة» التي حلَّت (صلوات الأجبية) وختموها بالبركة وجلسوا علي الأرض، في بساطة حقيقية.

وجاء خادم الملك ودخل عليهم حاملاً معه شُغل الملك والملكة (عمل يدوي) فتناول كل واحد منهما ما يصنعه بيده، وبدأ كلاهما) يعمل عمله الذي يُباع في الأسواق، ويوزع منه علي المساكين.

كشف السر المخفى:

ثم بدأ الراهب ـ المقيم بالقصر ـ الحديث مع القديس السائح دون أن يعرفه من قبل، وقال: «يا أنبا يوساب!»!! إن الرب تبارك إسمه أراد أن يُعطيك خبَرة عظيمة (اختباراً روحيا عملياً) لانه كشف لك عن سيرة الملك وزوجته (التي لا يعرفها الشعب).

ثم تحدثوا عن عظائم الله، وعمله في قديسيه، والفضائل التي يمنحها لأولاده. وامتدت الجلسة الروحية حتي الساعة التاسعة (الثالثة عصراً بالتوقيت الحالي) من النهار.

فأتي خادم الملك بمائدة، وعليها خبز جاف، وطعام يتناوله الرهبان (الناسكين). فصلوا وأكلوا، وشكروا الله علي نعمته، وقام الخادم برفع المائدة من أمامهم، ومضي في هدوء.

درس هام للنفس:

فعزم القديس يوساب السائح أن يعود الي قلايته في البَّرية المصرية، فاستأذن في الانصراف، فتباركوا منه ثم همس الراهب في أذن القديس القبطي وقال له سراً:

«يا أخي اتعظ بهذه السيرة، لأنك نظرت عظمة هذا الملك (المتضع) وزوجته (المباركة) وها أنت قد رأيت حالتهما السرية

(المخفـية عن شعبـهما)، وكـيف أنهما يعـيشان فعـلاً في اتضاع حقيقي، ولا يتناولان شيئاً من الطعام إلا من شُغل أيديهما، وفي هذا كفاية».

العودة الى البرية المصرية:

ثم ودعهم السائح المبارك وانصـرف الي خارج مدينة إنطاكية، حيث أرسل له الرب سـحابة نورانيه حملتّه الي مـوضعه في برية الإسقيط (وادي النطرون) وكان متعجباً مما رأي، بعدما كشف الله له عن سيرة أحد أبناء الملكوت.

فـشكر الله علي قـبـول صلواته، وعلي نـيل هذا الدرس «العملي»، الذي يمكن لكل قارئ لهذه السيـرة أن يستفيد به أيضا وأن يعلم: أنه مهما عاش العـالم اليوم في شر عظيم، فإن للرب أبناءً يحبـونه جداً، ويعملون حـسب وصاياه، وهو يعرف خـفايا قلوبهم، ويجـازيهم «بعربون» الأبدية في الـدنيا (فـرح وسلام)، ويمتّعهم، بالمجد الأبدي.

بركة صلواتهم، تكون معنـا، ولإلهنا الحمد والشكر من الآن والي الأبد، آمين.

الفهرســـت

الصفحة

+ + +

من مخطوطات سير الآباء السُّواح المجهولين

قصة لقاء القديس مقار أسقف نيقيوس لبعض السُّواح في البرِّيَّة المصريَّة

تحقيق تعليق

دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

قصة لقاء القديس مقار أسقف نيقيوس لبعض السوّاح فى البرّية المصرّية

مقدمة :

رتبّ الله آن يلتقي أحـد الإخوة الرهبان وكان يسـمي "مقار" الكاتب (حيث كـان ينسخ الكتب الدينية ويبيـعها) بمجمـوعة من الرهبـان القـديسين الذين عاشـوا مع الرب، في البـرية المصـرية الشمالـية الغربية. وقـد ترك لنا سيرته الجمـيلة في مخطوطة بدير السريان العامر[1]، وكتبها بنفسه، وأخفاها حتي ساعة نياحته.

وقد سجل لنا في مـقدمة هذه السيـرة مانصه: "إنني نويت أن أسـافر إلي مـدينة الاسكندرية، لـقضـاء بعض حـوائجي هناك. وبالقرب من المدينة إلتقيت برجل لاأعرفه، وكان ــ علي مايبدو ــ راجعـاً من بستـان، لأنه كان يحمل سلة بهـا بعض الثمـار فوق كتفه، ومعها أدوات للزراعة".

---

(١) عن مخطوطة رقم ٢٨٥ ميامر بدير السريان العامر (بتصرّف).

دعوة على العشاء:

ويستمر الكاتب في سرد قصته فيقول:

وبادرني الـرجل بقـــوله: "مـن أين أتيت ياأبـي؟ وإلي أين تذهب؟".

فـقلت له: "جـئت من الوادي المقـدس (وادي النطرون) وأنا متَّجـه إلي هذه المدينة، لقضاء بعض مـصالحي" (بيع الكتب التي ينسخها وشراء مايلزمه).

فقال لي بمحبة عـملية: "أسألك ــ ياأبتي ــ أن تبيت عندي هذه الليلة وفي الـصبـاح تمضي ــ بـإذن الله ــ إلي حـيث تريد، لاسيمـا وأن الوقت قد قارب علي المســاء" (ولايمكنه شراء أو بيع شئ) وألح عليّ بإسم يسـوع المسيح. فاسـتجبـت لدعوته، ورغم إنني لم أكن أعلم أي شئ عنه. إلا أنه كان يعرف لغة أهل البرية (اللغـة القـبطية بيـنما كـانت اللغـة اليـونانية هي الـشائعـة في الإسكندرية)، فاطمأَن قلبي من نحوه. ومضيت معه إلي موضعه.

منزل متواضع للغاية:

فلمـا وصل إلي منزلـه أخرج مـن السلة التي كـان يحـملهـا

مفـتاحـاً، وفتح البـاب ودخل أولاً، ثم طلب مني أن أتبـعه إلي داخل. فتطلعتُ نحـو اليمين والشمـال فلم أجد شيـئاً من الأثاث غير حصيرة قديمة عفا عليها الزمن، ووعاء به ماء، وحبلاً مربوطاً في سقف الحجرة، وكتاباً موضوعاً علي كرسي، ومصباحاً به زيت (قنديل) ومنديلاً بداخـله رغيف خـبـز، وقليل من الملح !! (ومـا أجمل البـساطة في المعـيشـة، وليست سـعادة المرء بالكمـاليات، ولابكثرة الماديات، وإنما بالفرح الـنابع من عمل الروح القدس في النفس).

وسألني الرجل أن آكل معه مما عنده. فـصلَّينا معاً وشكرنا الله علي عطاياه، ثم أخذت كسرة من الخبز وقليل من الملح، وأكلت، وفعـــل هـو كذلـك. ولما دخـل الطعـام (البسـيط هذا) إلي داخل فمـي صـار طـعمـه مثل شـهد العسل وأحلي مـنه، والملح كذلك مثله أيضاً!!

فتـعجبت مما حـدث، لاسيما إنني نظـرت الرغيف الذي أكلنا منه نحن الرجلـين لم ينقص منه شئ!! فسقلت لنفـسي: "مـاهذا الرجُل العجيب؟!".

علم عظيم مع اتضاع حقيقي:

وبعد أكل الخبز، بدأ صاحب الدار يسألني عن موضوعات في الكتاب المقدس، والنبوات التي فيها عن السيد المسيح، ثم أخذ يشرحها لي بالتفصيل ويفسرّ كل ما خفي عني، مع إنني كنت كاتباً (ناسخاً) للكتب، جميع أيام حياتي الماضية، وكنت بالطبع متضلعاً في الكتب المقدسة، بينما كنت أمامه وكأني لاأعرف عنها شيئاً كثيراً، لاسيما ما أوضحه لي.

فقلت في نفسي "إن هذا الرجل هو رجل الله، أو ملاك من السماء، وأن الله قد سهَّل لي لقاءه لكي استريح عنده وأتعلَّم منه".

وكنت أسمع منه (التأملات والتفاسير العظيمة) ولا أنطق بكلمة، ولا أقدر أن أجيبه بشئ، لأنه كان مملوءاً من الروح القدس.

دعوة لزيارة الفردوس الأرضي: (٢) (Paradise=garden)

وقضينا الليلة كلها في الصلاة وتسبيح الله، والتأمل في كلمة

(٢) كلمة "الفردوس" فارسية وتعني "حديقة" (جنة وتصغيرها جُنَيّنة) أو روضة مليئة بالأشجار والثمار، وكانت "جنة عدن" (في جنوب العراق) مجرد بستان عظيم ملئ بالخيرات النباتية (وكلمة "عدن" عبرية الأصل وتعني متعة، أو نعيم أو لذّة أرضية).

الحياة، ولم ننم!! وفي الصباح الباكر، حمل الرجل سلته وأدواته كعادته، وأراد الخـروج والذهاب إلي المكان الذي كان الكرم ينمو فيه، وأنا لا أعلم بذلك.

وقـال لي: "أنا أريد الخـروج إلي عمـلي باكراً جـداً، حـتي أنصرف باكـراً (قبل الغروب) وكـان يعني عودته إلي بيتـه لعمل الآخرة (ممارسة وسـائط النعمة من صلاة وتسبـيح وعبادة...الخ) وأنا لاأعلم.

وأعطاني مفـتاحه ثم خاطـبني بمحبة واتضاع، وقـال: "اخرج ياأبي إلي المكان الذي تقضي فـيه حوائجك، ولما تنتـهي منها عُد إلي المنزل، لأنك سـوف تمكث معي عـشرة أيام". فأخـذتُ منه المفتاح. ومضي هو إلي عمله.

غريب فى العالم من حوله:

ويستمر أنبا مقار الأسقف في تسجيله لما حدث فيقول:

"ولما مضيت إلي الكنيسة (المرقسية) للصلاة وتناول "القربان" (سر الإفـخارستـيا، أي سر الشكـر، وهو جسد المسـيح ودمه). فوجـدت فيهـا رهباناً قديسين (أتقـياء وأبرار) كنت أعـرفهم (من

الدير) فلما رأوني فرحوا بي" .

وقالوا لي: "يامقارة،[٣] متي أتيت إلي هذه المدينة؟ "فقلت: "حضرت أمس" . فقالوا : :أين أنت نازل؟!"

فشرحت لهم أوصاف الرجل المبارك الذي أقيم عنده، فتعجبوا ولم يعرفوه. وسألوا شيخاً يعرف كل أهل الاسكندرية (وكانت بالطبع محدودة جداً في سكانها، في ذلك الوقت) فلم يعرفه!!

ولما انتهي القداس بالكنيسة عدت أبحث عن المنزل الذي تركته فلم أجده؟ وبقيت متحيراً، لا أعرف ماذا أفعل؟ أو أين أذهب؟ وقلت لنفسي" لعل كل مارأيته بالأمس كان حلماً"!!

لقاء رجل الله مرة أخرى:

فقلت أمضي وأجلس علي الطريق العام، في المكان الذي اجتمعت به برجل الله، قبل خروجي لقضاء حوائجي. وخرجت إلي خارج أسوار المدينة، وجلست في المكان الذي إلتقيتُ به هناك أولاً، فلم أجلس إلا فترة قليلة، حتي عاد الرجل وأدواته علي

---

(٣) "مقار" هي اختصار للكلمة اليونانية: "مكاريوس" (Makarios) أي طوباوي أو مبارك.

كتـفه فلما أبصـرني أتي نحوي، وسألـني "هل خرجت إلي هذا المكان؟"

فأعلَّمته بكل ماحدث هناك.

فحـزن الرجل لأنه قد إكتشَّف امره (لدي سكان المدينة) وقال لي: "لماذا فـعلت هكذا؟ وكنت لاأريد أن يعرف أحـد مكاني". وأحسَّست بخـطئي. ولكنه كان لطيـفاً وديعاً. فلم يعـاتِّبني. ثم تبعته إلي بيته، وفعل كما حدث في المرة السابقة.

وأقمت عنده ثلاثة أيام. وكـان الرغيف الذي كنا نأكل منه لم ينقص شيئاً. وكنت أنوي الرحيل بعد قضاء بعض حوائجي فقال لي: "ألم أقل لك إنك تقـيم عندي عشرة أيام، ولـم يمض منها سوي ثلاثة فقط".

لقاء السواح فى البَّرية:

ولما أخـذ الرجل الطوباوي أدواته وإراد الذهاب إلي كـرمـه، قلـت لـه: "وأنـا أيضـاً أريد أن أمـضي مـعك وأري بسـتـانك وأشاهد عملك".

فقال لي "قم وسـر معي" وأخذ بيدي. وتبعتَّـه حتي خرجنا

من باب المدينة، وإذا بثلاثة رجال لابسين نفس ردائه (الرهباني) وكان لكل واحد منهم أدوات مثله، وكانوا يقولون له: "لماذا أبطأت علينا؟ أسرع بالمشي" (ليصلوا قبل شروق الشمس).

فقال لي الرجل "يامقارة سر خلفنا" فمشيت وكنت أريد أن أسمع حديث الرجال معه فلم استطع لأنهم كانوا يسيرون بسرعة، وكنت لا أعلم أين يذهبون.

وظلوا سائرين (في البرية) إلي أن حان وقت صلاة الساعة الثالثة (التاسعة صباحاً أي أنهم ساروا من الفجر لساعات طويلة، في اتجاه البرّية)، حتي أشرفنا علي عين ماء وحولها بستان، وبه نخيل وأشجار زيتون وتين ورُمان.

فصلُّوا، ثم أخذوا أدوات الفلاحة، وبدأوا عملهم وكانوا يجمعون الثمار ولا يأكلون منها شيئاً. فبقّيتُ وحدي، وأنا أفكر في الأمر!!

فاقتربت من الرجل الذي أنا نازل عنده وقلت له: "مَنْ هؤلاء الناس؟" فقال لي: "إنهم شُركاء لي في هذه الحديقة"، فقلت له: "لماذا لايتكلمون معي؟" فقال لي: :هم يعرفونك جيداً، ولكنهم

قالوا لي إنك لاتريد أن تقيم معهم" (للعبادة).

فقلت له: "أنهم يقومون بأعمال (زراعية) لاأعرفها، وأنت تعلم انني منشغل بنسخ كتب الكنيسة (وبيعها) وقصدي عمارتها وتجديد ماينهدم منها".

عام كامل فى الفردوس الأرضى:

فأقمت هذا النهار مع هؤلاء الأبرار. ولما كانت الساعة التاسعة (الثالثة عصراً = موعد أكل الطعام) أكلت من ثمر الشجر، وكنت لاأشبع من حلاوته. فقلت لذلك الرجل: «إن ثمرة هذه الشجرة لاتُشبع الجائع". فوجه اهتمامي إلي الطعام الأبدي (غذاء الروح) وترك الاهتمام بطعام العالم الفاني (الطعام البائد).

وللوقت أدركت أن هؤلاء القوم من السوَّاح المُبارَكين، فتلهَّفت لأخذ بركتهم. ولما اقتربت منهم أختفوا في لمح البصر، ولم يعد لهم أثر!!

وبقيت أنا وحدي، آكل من الثمر، ولا أقابل أي إنسان ليتحدث معي او أتكلم اليه. فأقمتُ علي هذه الحال عاماً كاملاً. وشكرت الله، الذي عرفَّني بقديسّية، وعلي أنه أسكننى هذه الجنة

(الأرضية)، في هدوء وسلام كامل،(ولكن دوام الحال من المُحال).

غيرة الشيطان من الإنسان (الذى يعيش مع الله فى سلام) :

وبعد إنقضاء العام، رأيت جماعة من الناس تمر بجوار البستان. فتقدمت وسألتهم: "إلي أين تذهبون؟" فقالوا: "إلي مدينة الاسكندرية". فقلت لهم "خذوني معكم لأني تائه في البرية ولا أعلم أين أذهب؟".

وقد قلت لهم هذا لأن محبة العالم دخلت إلي قلبي (بدلاً من عشرة الرب). وحملوني ولم أعلم أنهم "شياطين" وفي أسرع وقت وصلت إلي الاسكندرية. وكان أحد هؤلاء الركاب (الشيطان) يقول: "لقد ربحناه، وأخرّجناه من النعيم إلي أرض التعب" (وهو نفس ما فعله الشيطان مع ادم وهو أيضاً الذي يشغل الناس الآن عن العبادة، أو الجلوس مع الرب، في سعادة غامرة، لتُلهّيه المدينة وأمورها الفانية).

وبينما أنا متفكر في كلام عدو الخير، رأيت الرجل الذي كنت نازلاً في بيته مقبلاً بنفس الهيئة التي رأيته عليها في يوم لقائه.

وكنت أشعر بالجوع. فمشي معي بهدوء حتي أدخلني إلي منزله.

ثم أحضر لي نفس الرغيف الذي أكلت منه معه. فأكلنا معاً كالعادة، ثم قال لي متسائلاً: "أين كنت طوال هذه المدة؟" فقلت له: "إنني كنت في البستان، منذ أن فارقتك، لأنك تركتني هناك، وانتظرت عودتك، فلم استطع أن أراك حتي هذه الساعة".

ثم أقبل نحوي وقال لي: "يامقارة، لقد اخترت لك مكاناً كنت ستعيش فيه (في هناء مع آله السماء) إلي أن تموت، ولم ترغب في التمتع بهذه السعادة!! واستطاع عدو الخير أن يُخرجك منه، ولم تعلم" (بمؤامرته إلا بعد خروجك فعلاً، لأنك لم تَسأل الله أولاً).

سوّاح لايراهم الناس:

ثم سألته قائلاً: "مَنْ هؤلاء القوم الذين كانوا معك؟" (واختفوا فجأة). فعرّفني أنهم "من الآباء القديسين وأنهم يسكنون الاسكندرية، ومنازلهم مثل منزلي" (في قلة الأشياء المادية وكثرة البركات الروحية).

ثم أضاف القديس قائلاً: "ونحن ـ كل يوم ـ نمضي إلي هذه

الروضـة (البسـتان) فنصلـي فيـها ونُفَلّح أشـجارها، ونعـود إلي منازلنا، وأهل هذه البلاد (الاسكندرية) لايشعرون بنا (يخفيهم الله عنهم) ولو صـبرت قليلاً لكنـت أنت رفيقـاً لنا. فحـزنت جداً، وأطرقت بوجهي نحو الأرض، ولم أرفع رأسي، بل رفعت صوتي وبكيت ندماً (علي ضياع هذه البركة).

فقـال لي مشـجعاً: "قم وارجع إلي مكانـك (في الدير)، فإن الله قد جعلك لتمجيد إسمه فيما تكتبه (ماينسخه من كتب روحية) وتصير راعياً لشعب كثير". ثـم أخبرني بأشياء كثيرة أخري، لا أودُ ذكرها في هذا الكتاب (المخطوط).

ثم سألتـه في عدة موضوعـات في الكتاب المقدس، فأخـبرني بتفسيرها، فكتبتها في كتاب (فيما بعد).

وصية قبل الرحيل:

ولما أردْت العـودة (الي الدير) أخرج رجل الله (السـائح) ذلك الرغيف الذي عنده وأعطاني إياه، وقال لي: «خـذ منه، واستعمل منه وقت حاجـتك (جوعك) فإنه يغنيك عن طـعام كثيـر (وبركة الرب تغني ولا يزيد معـها تعباً) وحذار أن تـخبِّر أحداً بما رأيت،

ولكن اكتبه في كتاب (مخطوط) وأجعله مخفيا، لا يقرأه أحد إلا بعد نياحتك».

ثم تنبأ بالروح القدس ـ وقال لي: «وأنا أعلمك أنك ستكون رئيساً دينياً (أسقفا) وستدوم رئاستك (علي كرسيك) مدة إثنتين وعشرين سنة، وسوف تكتب كتباً كثيرة فيها عجائب وبراهين (روحية) وهي التي ستكون تذكاراً لك» (بعد رحيله عن الدنيا، ومنها بلا شك هذه السيرة التي نقرأها الآن).

ولم أكن أعرف من أين جاء هذا الرجل الروحاني (السائح) ولا إسمه، وكل ما أذكره لكم، أنه لما خرج لكي يوُدعني عند مسيري قال لي: «يا ولدي، أنا أوصيك: إذا انتقلت الرئاسة إليك، فلا تتكبر علي إخوتك، ولكن كن متواضعا رحيما عفيفاً، وطوباك إن فعلت هذا! وطوباك يا مقارة، لأنك سوف تُقدِّس قرابين كثيرة، وتُعدّ للرب شعباً (مستعداً للملكوت) كثيراً. وتطلبني في هذا المنزل (عندما يزور الإسكندرية مرة أخري) وسيهديك الله اليه ولا يخفيه عنك».

تحققُ نبوّات السائح:

وانطلقت من عنــده وعدت الي ديـر «البرامـوس» (نسـبـة الي القديسين الروميين مكسـيموس ودوماديوس) ولم تمر سوي خـمسة وعشرين يوماً فقط، حتي وصل الأب البطريرك الأنبا «ديمتريوس» الكرّام (البـابا الاسكندري الثـاني عشـر/ ١٩١ ــ ٢٣٢م) فأخـذني ورسمتي أسقـفا علي كرسي «نيقيوس» (بالمنوفيـة) وسلّم لي شعباً كثيراً، كما ذكر لي (السائح) من قبل.

بركات الطاعة للرب:

وبعد سنوات مـضيت الي مـدينة الاسكندرية، وطّلبْت الرجل (السائح) فوجـدته في الطريق. كما ذهبت الي بيـته ووجدته علي الحالة التي عرفته فـيها (العبادة الحارة مع حياة الفـقر الإختياري). كما وجدت الآباء السوّاح الذين كنت قـد رأيتهم من قبل معه، في البيت أيضا، فسلمتّ عليهم وجلست معهم.

وقدموا لي كلمـة منفعة قائلين: «يا أنبـا مقار، **لقد تحصنّت اليوم ضد الشيطان** (بما أعطاه الله من نعـمـة في الكهنوت مع وسائط الخـلاص، من صوم وصـلاة وترنيم وقراءات وتـأملات،

وخـدمة وعطاءات، ورعـاية مـلاك الله له . . . . الخ). **فاحفظ هذا الثوب** (حياة العفة، والبّروا والقـداسة) وهذا حصن حصين» (النفس الطاهرة يحل الله فيها ويحفظها نقية).

ثم تباركت مـنهم (دعوا له بنجاح خـدمتـه) وودعوني وأرادوا الرحيل من الدار. فـسألتهم الذهاب مـعهم الي بستانهم (للتـوحد معهم) فقالوا: «لا، لأنك الآن ترعي شعـباً عظيماً (مؤمنا) وإياك أن تحيد عن القضاء (الحق) أو أن تُحابي» (الوجوه).

وأما ذلـك الرغيف الذي أعطاه لي ذلك الرجل (السـائح) من قـبل فكنت آكل منه في اليوم مـا يُغنيني عن الطعـام ثلاثة أيام!! وأردت السؤال عن سبب ذلك، فلم يخبرني (وهو بركة خاصة من الله القادر علي كل شئ).

تحقّق الأمل:

وأنا (الأسقف) مقارة قد كتـبت هذا (المخطوط) وقبل أن أختمه لكم، لأ بد أن أذكـر إنـني سـألت الله لكي يـحل هؤلاء القـوم (السّواح) في منزلي (دار المطـرانية) وأن يصلـوا معي في بيـعتي «بنيقيوس» (بمحافظةالمنوفيةالحالية).

سيرة

القديس الأنبا يوساب

رقم الإيداع ١٦٣٤٥ / ١٩٩٩

الترقيم الدولي 977-12-0442-4



يتضمن قصة لقاء قديس مبارك هو الأنبا مقار أسقف مدينة نيقيوس القديمة (بالمنوفية) مع بعض سواح البرية المصرية.

كما يشمل سيرة منتقاه أيضاً من مخطوطات سير الآباء السواح الأقباط المجهولين وهو القديس الأنبا يوساب، وهو يقوم بسياحة للقاء شخصية عظيمة في إتضاعها العملي، وكيف عاشت مع المسيح وسط مشاغل العالم الكثيرة.

٥٠ ج